العرب
الثلاثاء 2020/04/21
السنة 42 العدد 11684

رواية أخرجت فيلما قبل سنوات تنبأت بكارثة اليوم

ديون ماير: كتبت روايتي «فيفر» كسيناريو لفيلم في 2016 بعد بحوث وقراءات

مع ما يجدّ في الواقع من تبعات انتشار فايروس كورونا المستجد، نكتشف أن ما يحدث سبق أن حدث بالفعل في روايات خيالية وأفلام، حتى أن التطابق بين ما يطرأ اليوم والأحداث المصورة أو المكتوبة سابقا يدعو إلى الدهشة، وفيما يذهب البعض مباشرة إلى تبني نظرية المؤامرة، يمجد آخرون أدوار المخيلة والإبداع في قراءة المعطيات والاستشراف.

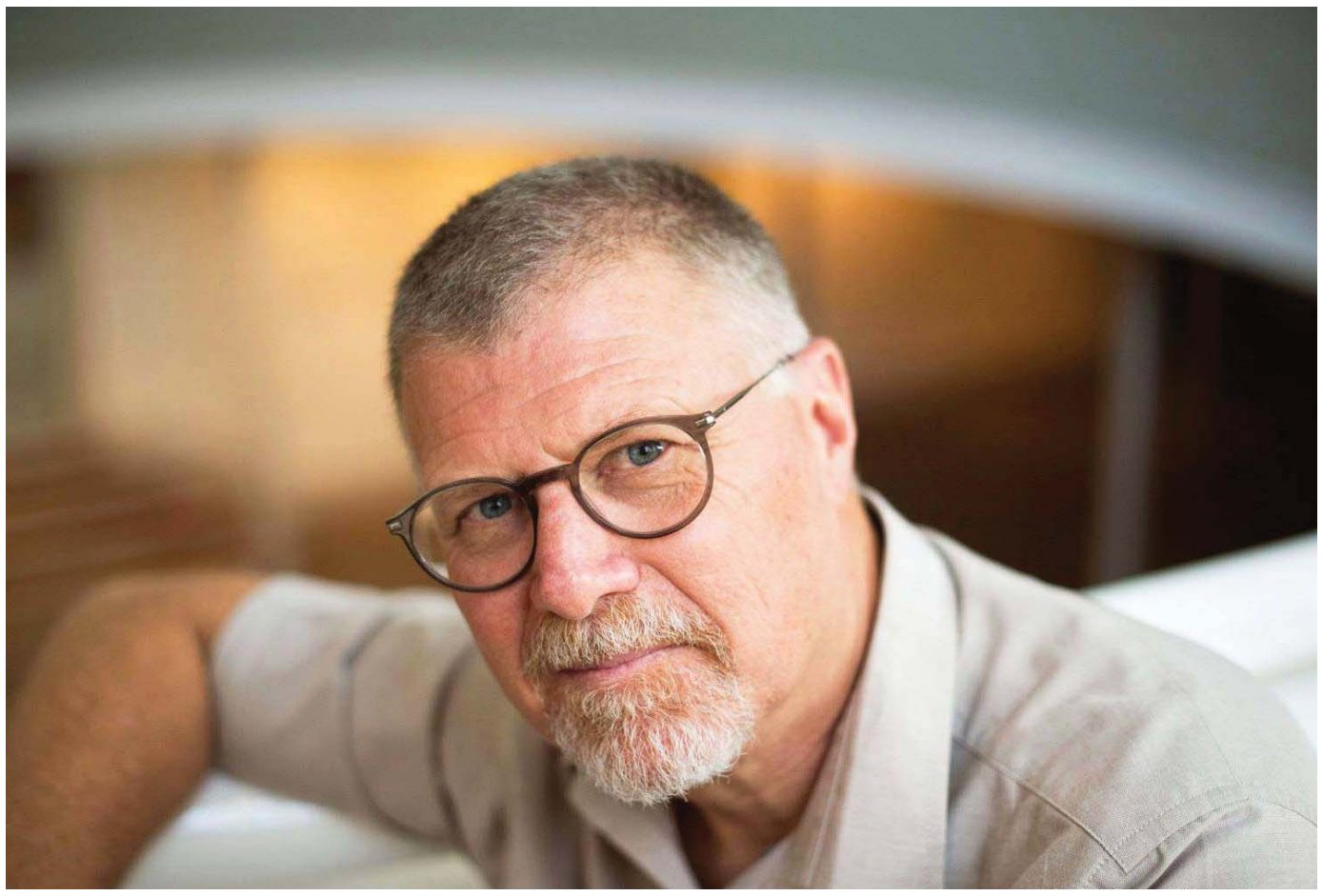

ديون ماير: آمل ألا توفر روايتي حججا لمروجي نظريات المؤامرة

جوهانسبرغ – تمنى الروائي الجنوب أفريقي ديون ماير ألا يكون الفايروس القاتل الذي يعيث فسادا في روايته "فيفر" التي تحولت إلى فيلم عام 2016، تصويرا دقيقا ومخيفا لفايروس كورونا الذي يدمر العالم حاليا.

وقال مؤلف قصة الفيلم وكاتب السيناريو "لا أجد متعة في ذلك". مضيفا "ما زلت أفكر في حزن الآلاف من الأشخاص الذين فقدوا أحبتهم ووظائفهم وما زالوا يعيشون في خوف".

فيلم بعد القراءة

يروي فيلم "فيفر" قصة صمود رجل وابنه في جنوب أفريقيا المقفر بعدما قضى فايروس على 95 في المئة من سكان العالم.

وبعد أربع سنوات، أصبحت أوجه التشابه بين قصة فيلم "فيفر" ووباء كوفيد – 19 مخيفة، حيث نفس القصة تقريبا إذ أن فايروس كورونا ينتقل من الحيوانات إلى البشر، وينتشر في أنحاء العالم، كما يصوره عمل ماير.

> قصة فيفر كانت كتابتها تتويجا للعديد من المشاعر والمخاوف والكثير من القراءات والبحوث لتكون بتلك الحبكة

وفي السيناريو، تغلق الحدود وتصبح الشخصيات المشاركة في الفيلم أكثر حذرا مع تحكم غرائز البقاء في الناجين.

وقال ماير (61 عاما) خلال مقابلة مع وكالة فرانس برس عبر الهاتف من منزله في مدينة ستيلينبوش الجنوب أفريقية "فيفر كان تتويجا للعديد من المشاعر والمخاوف والكثير من القراءات". وأضاف "لطالما أحببت الروايات الخيالية لما بعد نهاية العالم، وقرأت هذا النوع الأدبي بشكل مكثف عندما كنت في العشرينات والثلاثينات من العمر".

وتابع "عندما أصبحت أكثر وعيا بالتغير المناخي وإيبولا وإنفلونزا الطيور (إتش 5 أن 1) في العام 1996 وإنفلونزا الخنازير (إتش 1 أن 1) في الفترة 2009 – 2010، لم أستطع إلا أن أفكر في أننا نعيش في عالم حيث نهايته تعتبر احتمالا. وقد أصبحت هذه المخاوف مصدر إلهام في العام 2012 خلال رحلة عودة إلى الديار من نيويورك".

روى ماير "اشتريت مجموعة من القصص القصيرة وقرأتها في الطائرة. كانت إحدى القصص تتناول موضوع ما بعد نهاية العالم وجعلتني أفكر في اتجاهات أخرى محتملة كان يمكن أن يتخذها المؤلف".

وفي الوقت الذي هبطت فيه الطائرة في كايب تاون، بدأت قصة "فيفر" تتشكل في رأسه.

وخلال السنوات الثلاث التالية، جمع الصحافي السابق معلومات علمية لإدخالها إلى السيناريو الخاص به.

وأوضح ماير "كنت في حاجة إلى قتل 95 في المئة من سكان العالم مع ترك البنى التحتية سليمة. وقد بدا أن الفايروس هو الخيار المثالي لهذا السيناريو".

وأدت ساعات من المشاورات مع اثنين من خبراء علم الفايروسات إلى "أفضل مرشح" للمهمة وهو فايروس من عائلة كورونا.

وقال ماير "لقد... أعطياني تفاصيل كاملة عن طريقة حدوث ذلك. وقد تم تجسيد سيناريو الثلاثي الخيالي في صفحات الرواية".

وكتب ماير "يستلقي رجل في مكان ما في أفريقيا المدارية تحت شجرة مانغا. كانت مناعته منخفضة لأنه مصاب بفايروس نقص المناعة البشرية، ولم يكن يتلقى علاجا له. وكان في دم الرجل أحد فايروسات كورونا".

وتابع "في شجرة المانغا كان هناك خفاش، مع نوع مختلف من فايروس كورونا في دمه. واحد يمكن أن يصيب الآخرين بسهولة عند استنشاقه، مع القدرة على جعلهم مرضى للغاية".

وبالعودة إلى ما يحدث اليوم على أرض الواقع، فعندما كُشف عن الإصابات الأولى بفايروس كورونا في الصين في ديسمبر الماضي، اعترف ماير بأنه راجع كتاباته في حالة صدمة. وجاء في مقتطف آخر من رواية "فيفر"، "حتى معظم البلدان النامية لديها خطط واسعة النطاق لمعالجة مثل هذا الحادث". وتابع "من الناحية النظرية، كان ينبغي أن تعمل هذه الخطط. لكن الطبيعة لم تلتفت إلى النظريات".

إلهام جديد

فيما كان يشاهد أحداث فايروس كورونا في العالم الحقيقي، شعر ماير بأن معظم الحكومات استندت في ردودها إلى "نصيحة علمية جيدة". وقال "حتى الآن، الأمور جيدة" ملمحا إلى كلام الرئيس الأميركي دونالد ترامب باعتباره أحد "الاستثناءات القليلة".

لكن الكاتب يخشى أيضا أن يستمر هذا الوضع أشهرا أخرى وتساءل "إلى متى سيكون الناس قادرين على اعتبار المصلحة العامة أهم من نجاتهم ومن نجاة أسرهم".

وتكافح الدول الفقيرة، بما فيها جنوب أفريقيا، من أجل إبقاء المواطنين في المنزل، ومعظم هؤلاء يعملون في أعمال غير رسمية.

في "فيفر"، يتحول هذا النضال إلى حرب شاملة بين الناجين تحت مراقبة مجموعة صغيرة من البشر الذين صمموا الفايروس.

وتدور نظريات مؤامرة مماثلة في وسائل التواصل الاجتماعي اليوم، زاعمة أن الوباء من صنع الإنسان.

وأمل ماير في ألا توفر روايته الوقود الذي يعزز اقتناع مصدقي تلك النظريات.

ومع دخول جنوب أفريقيا في الأسبوع الرابع من الإغلاق واستمرار انتشار فايروس كورونا المستجد، عرف ماير ما سيكون مشروعه التالي. وقال "رواية عن جريمة تدور أحداثها خلال مرحلة الإغلاق".

الروايات تعري الأباطيل الطوباوية

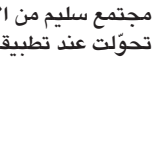

حسونة المصباحي
كاتب تونسي

المدينة الفاضلة التي خطط لها كل ما أفلاطون، والفارابي وظلت مثل حلم جميل لم يتحقق، أو مثل سراب في الصحراء.

وقد شهدت القرون السابقة للقرن العشرين ظهور العديد من اليوطوبيات. لعلّ أشهرها تلك التي ابتكرها البريطاني توماس مور في القرن السادس عشر، وتلك التي ولدها ما سمّي بـ"عصر الأنوار"، والثورة الفرنسيّة التي أطاحت بالنظام الملكي في عام 1789.

وفي القرن التاسع عشر، ظهرت يوطوبيا العلم. وأصحابها بشروا الإنسانية بأن العلم سوف ينقذها من الأمراض، ومن الأوبئة، ويروض الطبيعة لتكون في خدمتها بعد أن كانت عصية عليها. ومن فرط تمجيده والمباهاة به، أصبح العلم "إله الحضارة الجديدة". لكن سرعان ما تبين للإنسانية أن العلم قد يؤدي إلى كوارث مرعبة، وإلى حروب مدمرة. وهذا ما أثبته القرن العشرون الذي يبدو بعد رحيله كما لو أنه هشّم من خلال العواصف السياسية الهوجاء، والأحداث المأساوية والحروب المدمّرة التي طبعته، كلّ الآمال والأحلام لدى الشعوب والأفراد على حدّ السّواء.

فالشيوعيّة التي ظهرت في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، والتي بدت لأهل السياسة والفكر كما لو أنها قادرة على محو الفروق الطبقية، وإرساء العدالة الاجتماعيّة، وبناء مجتمع سليم من الأمراض والأزمات، تحوّلت عند تطبيقها إلى كوابيس مرعبة. وكانت النتيجة أنظمة مستبدّة، ومعسكرات ومحتشدات رهيبة، ومجازر فظيعة، وتزويرا للتاريخ، وانتهاكات بالجملة لحرية الأفراد والجماعات. لنتذكر ستالين وما فعله بالمعارضين لنظامه في سيبيريا.

ولنتذكر أيضا ماوتسي تونغ وثورته الثقافيّة التي كان ضحاياها يعدّون بالملايين. ولا يفوتنا أن نشير إلى كيم إيل سونغ الذي ترك شعبا يتسوّل لقمة الأرز، وإلى بول بوت زعيم "الخمير الحمر" الذين قتلوا مليونين من أبناء شعبهم، معيدين بلادهم قرونا إلى الوراء. وكلّ هذا تمّ باسم "الثورة"!

وجميع هؤلاء كانوا قد ابتكروا أشكالا جديدة من اليوطوبيا، ساعين إلى إقناع شعوبهم ومجتمعاتهم بأنهم قادرون على إنقاذهم من شقائهم ومن محنهم ومن أزماتهم.

وخلال القرن العشرين، ظهرت العديد من الروايات المضادّة ليوطوبيا الشيوعية. وفي كتابه "هيليوبوليس" يقول الكاتب الألماني إرنست يونغر إن منظري اليوطوبيات يقدّمون النور إلى الجماهير، ثم يأتي المطبقون للنظريّات، وبأفعالهم يحولون النور إلى ظلام، والأحلام إلى هشيم.

وفي روايته الشهيرة "1984"، وأيضا في روايته الأخرى "مزرعة الحيوانات"، ينتقد الكاتب البريطاني جورج أورويل الأنظمة المتسلطة، المتجسّدة في الأنظمة الشيوعيّة. ومن خلال شخصيّة "البيغ بروذر"، انتقد الزعماء الشيوعيين المتسلطين والمستبدين. وقبل ذلك، وتحديدا عام 1931، كان البريطاني الآخر ألدوس هكسلي قد فضح الأوهام واليوطوبيات التي تروّجها العلوم الحديثة. فعل ذلك من خلال روايته "أروع العوالم"، وهو يرى أن العلم الذي تصور الكثيرون أنه قادر على توفير السعادة للبشرية، والتخفيف من أوجاعها، ومن محنها، يتحول لدى الأنظمة الاستبدادية إلى وسيلة لقهر الشعوب ومراقبتها.

وتبدو الكتب التي عارضت اليوطوبيات التي عرفها القرن العشرون، وعرّت زيفها وأكاذيبها كما لو أنها تعكس ذلك الانحراف التراجيدي للطبقة الحاكمة التي يسميها أفلاطون بـ"الحراس". وقد أحيت هذه الكتب من جديد "جحيم" دانتي وفيرجيل. وهو جحيم لم يعد تحت الأرض، وإنما هو مسكون بالأحياء، ويمتدّ على وجه الأرض. وهو عكس "الجنّة الضّائعة". وهو "جحيم أرضي" ابتكره الإنسان من دون أي تدخل من الله. وفي زمن شهدت فيه العديد من البلدان انحسارا رهيبا لفكرة وجود الله، فتح الإنسان أنواعا من الجحيم: معسكرات اعتقال، ملاحقات، انتهاكات لحريات الأفراد والجماعات، طمس لهويّات الشعوب.

> هناك كتب عارضت اليوطوبيات التي عرفها القرن العشرون وكشفت زيفها وأكاذيبها وانحرافها التراجيدي بالشعوب التي هيمنت عليها

وخلال القرن العشرين أيضا، شهد العالم العربي موت العديد من اليوطوبيات. فالاستقلالات الوطنيّة التي كانت الشعوب العربية تأمل أن تحقق لها الكرامة والعزة والعدالة الاجتماعية، تمّت مصادرتها من قبل أنظمة فاسدة ومستبدة حوّلت العالم العربي إلى سجن رهيب. وأما حلم "الوحدة العربيّة" فقد تبخّر من دون أن ينجز ولو القليل منه. بل بات أداة لزرع الكراهية والتباغض بين الشعوب العربيّة.

ولأن الحاضر كما المستقبل أصبحا مقفرين من أيّ أمل أو حلم جميل، فقد ارتدّت نسبة كبيرة من العرب إلى ماضيها البعيد باحثة فيه عما يمكنها من الخلاص من محنها وأوجاعها وهكذا ظهرت يوطوبيا الجهاد المقدس المبشر لأصحابه والراغبين فيه بالجنة. وتحت تأثير هذه اليوطوبيا، تقوم جماعات أصولية بتكفير الناس، وقتلهم وذبحهم، وترويعهم، وسلب أملاكهم، وطردهم من بيوتهم وأوطانهم. ليعيش العرب "جحيما أرضيا " آخر لا يدري أحد متى وكيف ستكون نهايته؟

الإيسيسكو تطلق بيتا رقميا باللغات الأفريقية

الرباط – أطلقت منظمة العالم الإسلامي للتربية والعلوم والثقافة مبادرة جديدة ضمن مبادراتها في "بيت الإيسيسكو الرقمي" بعنوان "لغات أفريقيا، جسور الثقافة والتاريخ" التي تروم في الوقت ذاته، وصل الشعوب الأفريقية بتراثها الذي فيه جزء مكتوب بالعربية، وتوعية سكان القارة بسبل الوقاية من جائحة فايروس كورونا المستجد.

وأوضحت المنظمة التي يوجد مقرها في الرباط، على موقعها الإلكتروني، أن هذه المبادرة تأتي في إطار الاهتمام البالغ الذي توليه، في سياساتها وخططها الحالية، للمناطق والدول الأعضاء الأكثر عرضة لأخطار الأزمة الصحية العالمية التي سببتها جائحة فايروس كورونا المستجد.

كما تأتي هذه المبادرة، يضيف المصدر ذاته، اعتبارا لما تواجهه أفريقيا، وخاصة منها الدول الواقعة جنوب الصحراء، من تحديات كثيرة اشتدت وطأتها في الآونة الأخيرة، وإدراكا لدور اللغات المحلية للشعوب الأفريقية في نشر المعارف الأساسية وتعميمها وتيسير تبادل المعلومات والإرشادات بين جميع فئات المجتمع.

وتهدف "الإيسيسكو" من خلال هذه المبادرة الجديدة إلى الإسهام في جهود التوعية الصحية لوقاية المجتمعات الأفريقية بمختلف شرائحها من فيروس كوفيد – 19، وتعزيز الأدوار الثقافية والاجتماعية والتربوية للغات الأفريقية المحلية، ووصل الشعوب الأفريقية بتراثها المكتوب بالحرف العربي.

كما تروم هذه المبادرة توفير منابر إعلامية باللغات المحلية في أفريقيا، وتحقيق مواكبة هذه اللغات للتكنولوجيا المعلوماتية، وإبراز متانة الروابط التاريخية بين اللغة العربية واللغات الأفريقية جنوب الصحراء.

وتتكون هذه المبادرة التي تندرج في إطار مشروع مشترك مع البنك الإسلامي للتنمية لاستخدام الحرف العربي في كتابة لغات المجتمعات المسلمة في أفريقيا، من محاور تعليمية وعلمية وثقافية، من ضمنها برنامج لتصميم لوحات مفاتيح الكمبيوتر لخمس عشرة لغة أفريقية محلية، وبرنامج لتطوير منظومة كتابة اللغات الأفريقية بالحرف العربي من خلال توفير أدوات تربوية ومواد تعليمية، وتنظيم دورات تدريبية للخبراء في مجال الحرف العربي.

> من أهداف المبادرة تعزيز الأدوار الثقافية والاجتماعية والتربوية للغات الأفريقية المحلية، ووصل الشعوب الأفريقية بتراثها

كما تهتم المبادرة بالمحور الاجتماعي التوعوي في المجال الصحي، من خلال نشر لوحات رسوم بيانية وبث مقاطع فيديو باللغات الأفريقية للوقاية من فايروس كورونا المستجد.

واللغات التي تشملها هذه المبادرة هي الهوسا التي تأتي في المرتبة الثانية أفريقيا بعد اللغة العربية من حيث عدد المتحدثين بها، والسواحلية التي تأتي بعد الهوسا من حيث عدد مستخدميها، والماندنكو، والفولاني، والولوف، والفور، والنوبية، وبجا، وبني عامر، واليوروبا، والقمرية، والصومالية، وزغاوة، ولوغندا، وسنغاي.